

تصريح الدين بكثرة اقمار السماء

اخوض في هذا البحث انهم قضاء لما فات مني حين التفت كتاب « الهيئة والاسلام »
عند ما اوجزت الكلام في كثرة الاقمار وما اولىبت المسئلة حقا

فاقول ما اختلف من المتقدمين فاضلان بل ولا جاهلان في كون القمر جرماً واحداً
مترداً في عالم الوجود دون ان يجوز عاقل منهم وجود قمر آخر غير قمرنا المبصر لانحصار طريق
معرفة في الحس او العقل اما الحس فكليل غير صالح لادراك ما تفيز عنه الابعار المفردة .
واما العقل فلم يكن عندهم مقتضياً لذلك ما لم يحس عينه ولم يدرك اثره بل كانت مالمنا
للتقدمين من اعتقاد وجود قمر غير مبصر لامتزاجه وجود عام آخر ومكونات اخر نظراً الى
تنزه حكمة البارئ تعالى عن خلق شيء عبثاً « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عين »
هذا وقد كان مدلول العالم عندهم كلياً مضموراً في الوجود بفرده المشهود اعني الكرة الواحدة
التي مركزها بقعر ارضنا والمحيط بحدب الثلث المحدد للجوهرات « غاية الامر » ان هذه الكرة
الواحدة تنقسم بزمعهم الى ثلاث عشرة كرة متقطعة منظمة تقع منها افلاك عظيمة واربع منها
كرة مركزية لاصول الاجسام المتروفة عندهم بالعناصر الاربعة وقد ذكرت ترتيبها وتركيبها
في صدر المقدمة السادسة من كتاب « الهيئة والاسلام » (١)

مرآة فلاسفة الشرق والغرب حين من الدهر لم يفتنوا فيه بكثرة الاقمار كما تقدم
ولكن انقضى امد هذه النحلة بعد الالف الطعري واكثر من قرن

واول قمر سماوي كشف النقياب عن عذاره هو اكبر اقمار اشترى استكشفت غالبه
الايطالي المرفى سنة ١٦٤٢ م . اكتشف هذا القمر بنظائره الثرية سنة ١٦٦١ م ثم تباينت
استكشافاتهم لاقمار بقية الكرات السامية حتى قرب تعداد اقمار السماء عدد الاثنين واعتراف
اساطين فلاسفة الغرب واحداً مشهود لارضنا و٢ للزئبق و٨ لاشترى و٩ لزحل و٨
لارنوس وواحد آخر لبنتون وهي آخر السيارات في نظام شمست . وادعى « كاسني »
و« مونتاني » وغيرها وجود قمر لزهرة فطره سبعائة فرسخ تقريباً وان بعده عن جرم الزهرة
يشابه بعد قمرنا عن ارضنا بالثمنين وقد خالف هؤلاء باقي القدماء في اعتقادهم ان

(١) هو اول كتاب يشرح الكسفيات المشاهدة وما في الهيئة المحاضرة والناظره مستنبطاً كل ذلك من
شواهد الكتاب والسنة باللغة العربية الواضحة وتزيد صفحاته على ٣٠٠ غير لياحته وفكاهة الفكاهة
ونظمت من ادارتها ومشا مجيدي واحد اعني ٤ فراكات في الحج و١٦٠٠ عرشاً بل اجن اجريد

السيارات اراض كارضا في المادة والشكل والتحرك والظلمة ففيها الجبال والبحار والهوا
والبخار وجوزوا فيها وجود الاهل والسكان بعد ما استظهروا فيها وجود لوازم العيش
والعمران ونفق ايضا مع هذا الرأي بناء عليه حكمة الباري جل شأنه

« اما الشريعة الاسلامية » فقد سبقت فلاسفة الشرق والغرب في اظهار هذا الرأي
الجليل وما كان من هذا القبيل بأكثر من الف سنة وذكرت في غير مرة كثيرة الاقمار
والشموس في سماء هذا العالم المحروس والتلويح تارة وبالتصريح اخرى

ولكن ذلك حيث صدر منها قولاً بلا برهات وقوى من دون دليل وكانت ظواهر
الفاظه الحقة مخالفة للعلوم والحقائق الثابتة والمباني المسلمة في تلك القرون اخذ العلماء
من المسلمين يأتون مقالات الشريعة ويظهرون للناس ان القصد من هذه الظواهر معان
خفية غير المعاني الحقيقية - فصرنوا بتأويلاتهم البعيدة وجه الكلام عن مراد ومرماه
وبدولوا حقائقه تبديلاً وشكر الله تعالى اذ اظهر الحقائق ونشر العلوم الصحيحة في عصرنا
فامكننا استفادة المعاني الحقيقية من ظواهر مقالات شريعتنا القدسية. فيها ما رواه
الشيخ الصغار المتوفى سنة ٢٩٠ في كتاب « بصائر الدرجات » ورواه جماعة آخرون ذكرناهم
في بحث تعدد الشموس من كتاب « الهيئة والاسلام » باسانيدهم القوية الى الامام السادس
ابي عبد الله جعفر انه قال « ان من رواه عين قرمك هذا اربعين قرأ فيها خلق كثير
لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم ام لم يخلقه »

والفاظ الحديث ناطقة الصم نطق بكثرة الاقمار الحية وراه قرنا (اي بده) ولا
ينبغي عجي من علمانا المتقدمين اذ كانوا يأتون هذه الاقمار الى معان وهمية في عالم العقول
مع ان الوصي قد أكد كلامه بما لا ينبغي معه التأويل من اشارته الى الحرم المحسوس
واضافته الى المخاطبين وتكرر لفظة عين فقال « من رواه عين قرمك هذا الخ » فكيف يسوغ
التأويل مع ذلك كله

نعم نغذر القدماء بان ما ذهبوا اليه كان مبلغ علمهم في تلك الاعصار فما يصنع من لم
يشم نغمة من الآراء الحديثة ولم يميز كثيراً من مباني الفلسفة الجديدة . ولو تركوا شرح
هذه الاخبار وفرضوا اظهار اسرارها العظيمة الى اواخر الاعصار لكان ذلك احوط لاسرم
واولى . ونوله « اربعين قرأ الخ » احتمال في هذا التعداد وجوهاً من القول . بعضها ان لفظة
الاربعة والاربعين والسة والسبعين والمئة وخمس مئة والالف ونحوها من الاعداد الثامنة
كثيراً ما تأتي بها العرب لبيان الكثرة فقط والمبالغة في التعداد لا لتعيين المدود وتخصيص

كثيره فلا يتاني تجاوز عدد الاثمار في الحقيقة عن حد الاربعين ولا تعدادها في حدود
الثلاثين نظراً الى استعمال هذا العدد بقصد المبالغة في الكثرة والتعدد فقط دون ان يراه
منها التمهيد الفلسفي

وقد تضمن هذا الحديث الشريف موازنة المتأخرين في مكوينة الاجرام السماوية
ايضاً ويهدي بصريح لفظه الى وجود كائنات في حيز ناطقة كالاشرفيات الامام نبي
العلم والدراية عنهم حيث قال « لا يدرون ان الله تعالى خلق آدم اولم يخلق » ونبي العلم
بشيء خاص عن شيء مشعريان ما نفيت عن قابل لاصل العلم والدراية لكنه فقد علمًا خاصًا
ودراية باسم جزئي فلم يقل الوصي انهم لا يدرون شيئاً حتى يكون نبياً لطلق العلم . بل قال
لا يدرون خلق آدم . فعلم من نبي العلم الخاص عنهم كونهم قابلين لاصل العلم . فيثبت
كونهم احياء ناطقين ويتردد الامر بين كونهم من نوع البشر او من جنس الملائكة المحردين
وقد اشرت في رسالة « جبل قاف » الى شواهد قوية في هذا الظاهر الشريف تفضل
كون المراد من هذا الخلق البشر فقط دون الملائكة

وتقل لي بعض الفضلاء المتحمدين رواية عن امير المؤمنين علي انه قال « ان في قرمك
هذا خلقاً كادوا يجرثون » لكنني لم اظفر به في كتاب كلما تقصت عنه

وفي قوله « كادوا يجرثون » (توضيح الحديث مستند) دلالة على انهم بشر يزرعون
ويجرثون وعندهم لوازم الزرع والحراث والاكل والعيش وفصول مختلفة و . و .

« لا تستبعدوا مكوينة القمر » وان رجع راصدوه اليوم يعني حين آيين من وجود
سكان فيه حيث لم يجدوا اثرًا بشرياً واضحاً على صفحات وجهه لكن ذهب جملة من اركان
الفلسفة المصرية الى جواز مكوينة القمر وهم « هوك » و « هرشل » و « غوك » و « كاسيني »
و « ارغو » و « كستوك » و « بيكرين » وغيرهم والعلم يريدهم ببرهان الجلي فان « هوكا »
قد استكشف الصبح والشفق في كرة القمر وجوته واخبر بوجود الجبال النارية والبراكين
فيه وقد تر النظر الاعظم من فوهة احد براكينه بنظارة « هرشل » بمقدار كوكب من القدر
الزابع بحيث كان من الممكن ان يراه الناظر الجرد . وظهر له في كسوف ذات الحلقة سنة
١٨٣٦م ان ضوء ناز ذلك البركان اوضح من شفق القمر

وانت تعلم ان الضوء والشفق والناظر والبركان كلها من لوازم وجود الهواء والبخار
في القمر وشبهه هذا الجرم لنباهة الحيوان على مائدته

حيث ان الهواء والبخار والحرارة واختلاف الفصل في ارض القمر تستعجب حسب العادة وظواهر الطبيعة حصول وسائل العيش ولوازم الحياة
ومن الاخبار المصروفة بكثرة الاقمار ما نقلته عن ستة كتب كلها عتيقة معتبرة
ذكرتها « في الهيئة والاسلام » ان جعفر بن محمد سادس ائمة اهل البيت ذكر للعالم الجاني
في حديث له قال في صفة الشمس « انها اذا امرت تقطع اثني عشر شهراً واثني عشر قرناً
واثني عشر مشرقاً واثني عشر مغرباً واثني عشر يوماً واثني عشر عالماً الخ »
وظاهر كون هذا الخبر صحيحاً في وجود شمس متعددة وعوالم متكثرة واقمار غير هذا
القمر ومشارق ومغارب لا تحوم شمسنا حولها ولا تقرب منها حيث لم يأمرها مديرها ومديرتها
الحقيقي . فلو امرت حدثت فيها مبدأ سير قوي بحيث تسج وتسير في الفضاء وتقطع حدود تلك
الشموس والعوالم وتجاوز مدارها ينك الاقمار والبخار وتقر بتلك المشارق والمغارب
ولا يناني عدد الاثني عشر ما ورد سابقاً بلفظ الاربعين ان اختلاف اطوار البيان قد
يكون بسبب اختلاف احوال السامعين بعضهم لا يفهم استماع تعدد الشمس اسلاً ومنهم
من يفهم ويستعمل استماع تعددها الى الثلاثة وبعضهم الى العشرة ونحوها وبعضهم الى الاربعين
وبعضهم الى اكثر حسب اختلاف مقادير القلوب كما نرى مثل ذلك في من مخاطبهم فلا
ريب في اختلاف احوالهم وعقولهم بالنظر الى استماع الغرائب وطريقة الكاملين من العلماء
ان يكلموا الناس على قدر عقولهم كما امر به دين الاسلام السيد هبة الدين الشهرستاني
التحفة الاشرف صاحب مجلة العلم

المآخذ الشعرية

(تابع ما قبله)

واحدى ابو تمام قياً الى الحسن بن وهب الكاتب وارسل معه اياتاً منها ما سمعته قول
القائل : اتليل من التليل احمد من الكثير الى الكثير
واستحيز قلة الهدية مني ان جهد التل غير قليل
وعتد ابو تواس في الحمرة قول بعضهم : اذا رأيت المم تمكن في قلبي تقرب الكاس
من الباب خرج المم
اذا ماتت دون النهاية من النبي دعا همة من مدرع برحيل